الإمام مسلم رضي الله عنه

د. رمضان رمضان متولي(*)

أولا: عصره:

عاش الإمام مسلم [١] في عصر الدولة الطاهرية التي اتخذت من (خراسان) مقرًّا لها، والتي أسسها القائد المظفر طاهر بن الحسين، وكان الخليفة العباسي المأمون قد ولاه (خراسان) سنة ٢٠٥هـ فجعل (مرو) عاصمة لولايته واستقل هناك، وتتابع على الحكم جماعة من أهل بيته دانوا للخلافة العباسية اسميًّا، ووسعوا نطاق حكمهم حتى حدود الهند، ونقلوا قاعدتهم إلى (نيسابور) -مسقط رأس الإمام مسلم - وظلت لهم السلطة حتى (عام ٨٧٢م). حتى أزاحهم (الصفاريون) ما بين أعوام (٢٥٣) حتى نهاية (سنة ٢٥٧هـ)[٢]، وقد عاصر الإمام مسلم أزهى عصور الدولة العباسية ابتداءً من عصر المأمون وانتهاء بعصر المعتمد العباسي وذلك ما بين أعوام (١٩٨- ٢٧٩هـ / ٨١٣ - ٨٩٢م). وكانت ولادة إمامنا في خلافة المأمون العباسي.

ثانيا: مولده ونسبه:

هو: أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَرْدْ بن كوشاذ القشيري النيسابوري[٣]. ويقول الإمام الذهبي عن نسبه: «فلعله من موالي قشير». وقشير قبيلة عربية هي بطن من بني عامر بن صعصعة اشترك بنوها في الفتوحات الإسلامية، وأقام بعضهم في خراسان، وتولوا حكمها حينًا من الوقت[٤]. ونسبة الإمام مسلم إلى قشير نسبة ولادة لا نسبة قرابة ولا نسب [٥] كنسبة أمير المحدثين الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله - إلى (جعف)، ويقال له الجعفي.

وأما عن تاريخ ولادته فإن أغلب المصادر تجمع على أنه ولد (سنة ٢٠٤هـ[٦] / ٨١٩م) إلا أن ابن خلكان - وهو أقرب عهدًا بمسلم ممن ترجموا له،

(*) أستاذ سابق بجامعة وهران بالجزائر.

(١) له ترجمة في تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٨، تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ٢/٨٩، خلاصة تهذيب الكمال: ٢٢٠، الرسالة المستطرفة للكتاني ١١. شذرات الذهب ٢/١٤٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للإمام المزي جـ ٢٧: صـ ٤٩٩، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/٩١.

(٢) ميرخواند: روضة الصفا: ت. أحمد الشاذلي. ص ٥٧-٥٨ - مصر ١٩٨٨م.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ص ١٤٤، طبع دار الفكر. وابن كثير: البداية والنهاية جـ١١: ص ٣٣- مطبعة السعادة. محمد بن جعفر الكتاني: الرسالة المستطرفة: ص ٩ طبع مكتبة الكليات الأزهرية. الإمام الذهبي سير أعلام النبلاء جـ ١٠(١٨٢).

(٤) محمد قاسم أمين: الإعلام لبعض رجالات تركستان: ص ٢٦، ٢٧.

(٥) المرجع السابق.

(٦) البداية والنهاية: جـ١١ صـ ٣٤.

يذكر أنه ولد (سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م[٧]) أما تاريخ وفاته فالإجماع منعقد على أنها وقعت (سنة ٢٦١هـ).

ثالثا: شخصيته وعلمه:

وأما عن صفاته الجسدية فقد ذكر الذهبي في (سير أعلام النبلاء) أنه كان تام القامة، أبيض الرأس واللحية، يرخي طرف عمامته بين كتفيه، وأما عن مصدر رزقه فيقول: «وقال الحاكم: كان متجر مسلم بخان مَحْمشْ ومعاشه من ضياعه بأستوا»[٨]، ويذكر صاحب تهذيب التهذيب: «أنه كان بزازًا وأنه كان صاحب تجارة بخان محمش بنيسابور وله أملاك وثروة»[٩]، ويذكر كذلك أنه رأى من أعقابه من جهة البنات في داره[١٠]، والأوصاف السابقة لإمامنا تتناسب مع مكانته ويساره وما تركه وقاره وهيبته ورزانته في نفوس الناس، وأنه كان إمامًا جليل القدر، ثقة، لقب من علماء عصره بالحافظ، وأنه كان أحد حفاظ الدنيا الأربعة وهم: أبو زرعة، وعبد الله الدارمي السمرقندي والبخاري. ولقب الحافظ لا يناله إلا من حفظ مقدارًا عظيمًا من الأحاديث أدناه ألف حديث وأعلاه ثلاث مئة ألف. كان مسلم صنو البخاري في الحفظ العجيب، شجاعًا مقدامًا وفيًّا مخلصًا، آزر شيخه البخاري في محنته وجهر بموافقته له، وكان ورعًا محتاطًا لدينه، يجله الناس ويرجون به الخير؛ لما جمع من صفات الفضل والصلاح والعبادة والعلم، وكان أحد أركان النهضة الحديثة في عصره، عني بالمحافظة على السنة وعلومها والتقدم بها كل العناية فاجتهد في المحافظة على الحديث وصيانته من الجهلة الذين شوهوا جماله، وانتصب للرد على الشبهات التي أثيرت ضد المحدثين وعلومهم، وينقل الإمام ابن كثير في البداية والنهاية قول إمامنا: «صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاث مئة ألف حديث مسموعة» وأن إمامنا ذُكرَ عند إسحاق بن راهويه فقال بالعجمية ما معناه: «أي رجل كان هذا؟!»، وقال إسحاق بن منصور لمسلم: «لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين[١١]».

رابعًا: من روى عنهم:

شارك البخاري في الأخذ عن جماعة من كبار الأئمة في عصره وكان من شيوخه إبراهيم بن موسى الفراء، وعلى بن الجعد، ومحمد بن مهران الجمال، وعبيد الله القواريري، قتيبة وعمرو الناقد، وابن المثنى، وابن يسار، وأحمد، ويحيى وإسحاق، وغيرهم كثير[١٢]، وبلغ عدد الذين روى عنهم في صحيحه فقط: مئتين وعشرين من الشيوخ الأماثل.

خامسًا: من سمع منه وروى عنه:

تلقى الحديث ورواه عن الإمام مسلم كثيرون من كبار أئمة عصره منهم: محمد بن إسحاق بن خزيمة، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، كما روى عنه: عليّ الحسين بن أبي عيسى الهلالي، وهو أكبر منه، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء شيخه، ولكن ما أخرج عنه في (صحيحه)، والحسين بن محمد القباني، وأبو بكر محمد بن النضر بن سلمة الجارودي، وعلي بن الحسين بن الجنيد الرازي، وصالح بن محمد جزرة، وأبو عيسى الترمذي في (جامعه)، وأحمد بن المبارك المستملي، وعبد الله بن يحيي السرخسي القاضي، وأبو سعيد حاتم بن أحمد بن محمود الكندي البخاري، وإبراهيم بن

(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢: ص ٥٢٧.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ١٠: مادة رقم ٢١٨٢. ص ٢٨٧-٢٨٩. . وأستوا: كورة من نواحي نيسابور تشتمل على ثلاث وتسعين قرية وقصبتها خوشان. ياقوت. معجم البلدان ١: ١٧٥

(٩) ابن حجر: تهذيب التهذيب ص ١٠/ ص ١٢٧.

(١٠) سير أعلام النبلاء جـ١٠ ص ٣٨٧.

(١١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١١، ص ٣٣.

(١٢) السيوطي: طبقات الحفاظ: ص ٢٦٤.

محمد بن سفيان الفقيه راوي (الصحيح)[١٣].

سادسًا: صلة مسلم بالإمام البخاري وأثرها:

يروي العماد الحنبلي في كتابه: (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) عن عبد الله بن محمد بن يعقوب الحافظ قوله: «لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف إليه» وقال الخطيب البغدادي: كان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيي الذهلي[١٤] بسببه، ويقول: وقطعه أكثر الناس غير مسلم فإنه لم يتخلف عن زيارته وقال له: «لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك»، فأنهى إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديمًا وحديثًا، وأنه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه، فلما كان مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه: إلا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رءوس الناس وخرج عن مجلسه، وجمع كل ما كتب عنه وبعث به على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيي بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب السهلي النيسابوري - كان أحد الحفاظ الأعيان[١٥].

وكان إمامنا قد اتصل بالإمام البخاري وتلقى عنه، ويظهر أن ذلك كان سنة (٢٥٠هـ) عندما قدم الإمام البخاري مدينة نيسابور، وتلقى مسلم عنه، ويؤكد ذلك قول يعقوب الحافظ: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي لمعلمه[١٦].

سابعًا: مؤلفات الإمام مسلم:

ألف الإمام مسلم كتبًا عديدة أغلبها في علم الحديث بعضها مطبوع وبعضها مازال مخطوطًا، ومنها ما لم يعلم عنه المؤرخون شيئًا سوى اسمه وهي على النحو التالي:

أ-الكتب المطبوعة:

١-الكتاب الصحيح:

وهو المشهور باسم (صحيح مسلم).

٢-المنفردات والوحدان: (في رواة الحديث)، أي: معرفة من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد، ويكون في الصحابة ومن بعدهم.

ب- الكتب المخطوطة:

١-كتاب الكنى والأسماء[١٧]: وهو يبين أسماء من اشتهروا بكناهم، وكُنى من اشتهروا بأسمائهم. وهذا مما تدعو إليه الحاجة؛ لأن الراوي قد يذكر مرة باسمه، ومرة بكنيته أو لقبه، فيتبادر إلى الذهن أنهما اثنان.

٢-كتاب التمييز: وقد شرح مسلم موضوع كتابه هذا، فقال في مقدمته: «... أما بعد، فإنك يرحمك الله ذكرت أن قبلك قومًا ينكرون قول القائل من أهل العلم إذا قال: هذا حديث خطأ، وهذا حديث صحيح... وذكرت أنهم استعظموا ذلك من قول من قاله، ونسبوه إلى اغتياب الصالحين من السلف الماضين وحتى قالوا: إن من ادعى تمييز خطأ روايتهم من صوابها متخرص بما لا علم له به، ومدعي علم غيب لا يوصل إليه.

وبعد، فإن الناس متباينون في حفظهم لما يحفظون... فمنهم الحافظ المتقن... ومنهم

---

(١٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء. جـ١٠: ص ٣٧٩ وما بعدها.

(١٤) هو أبو عبد الله الذهلي، من أهل نيسابور، ومن حفاظ الحديث، ثقة، انتهت إليه الصدارة في العلم. روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عددًا من الأحاديث وتوفي سنة ٢٥٨هـ.

(١٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: جـ١: ص ١٤٤-١٤٥.

(١٦) مقدمة فتح الباري: ص ٤٩١.

(١٧) في المنتظم والوافي بالوفيات (كتاب الأسامي والكنى). وفي طبقات الحفاظ ٢٦١: «الأسماء والكنى» ومثله في فهرست ابن خير ٢١٢.

المتساهل المشيب حفظه بتوهم يتوهمه، أو تلقين يلقنه من غيره، فيخلطه بحفظه ثم لا يميزه عن أدائه إلى غيره... إلخ».

٣-رجال عروة بن الزبير: ومنه نسخة في (الظاهرية) برقم (مجموع ٥٥ / ١١ الأوراق (١٣٩-١٤٧)، وقد كتبت سنة (٤٦٣ هـ)- بخط الخطيب البغدادي[١٨].

٤-كتاب الطبقات: يتناول فيه مسلم معاصري الرسول الذين رأوه ورووا عنه، ومن هذا الكتاب نسخة في (سراي، أحمد الثالث) بتركيا، برقم (٦٢٤ / ٢٦) الأوراق (٢٧٩-٢٩٧) وقد كُتبتْ سنة (٦٢٨هـ)[١٩].

ب- الكتب التي فقدت:

أذكر منها:

١- الأفراد.

٢-أفراد الشاميين.

٣-الأقران.

٤-الانتفاع بأهب السباع[٢٠].

٥-أولاد الصحابة فمن بعدهم من المحدثين.

٦-أوهام المحدثين.

٧-الجامع الكبير (على الأبواب). قال الحاكم: رأيت بعضه.

٨-حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[٢١].

٩-سؤالات أحمد بن حنبل.

١٠-العلل.

١١-كتاب التاريخ.

١٢-المخضرمون.

١٣-المسند الكبير: على أسماء الرجال، قال الحاكم: ما أرى أنه سمعه منه أحد.

١٤-مشايخ الثوري.

١٥-مشايخ شعبة.

١٦-مشايخ مالك بن أنس[٢٢].

١٧-من ليس له إلا راو.

ثامنًا: منهج الإمام مسلم في صحيحه:

كان الإمامان الجليلان البخاري ومسلم أول من سبقا إلى تصنيف كتاب في الصحيح وقد سبق الإمام البخاري مسلمًا في ذلك، ومع أن كتاب مسلم عرف باسم الصحيح، فقد أطلق عليه في عصر مسلم اسم (المسند)، ويعده الإمام (الكتاني) ثاني كتب الصحاح الستة تاليًا لصحيح الإمام البخاري، ويقول عن الصحيحين أما صحيح البخاري: «وهو أصح كتاب بين أظهرنا بعد كتاب الله، وصحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري»[٢٣]، ويقول الإمام الذهبي عنه: قال أحمد بن سلمة: سمعت مسلمًا يقول: إذا قال ابن جريج: حدثنا وأخبرنا وسمعت، فليس في الدنيا أثبت من هذا.

أما عن الزمن الذي استغرقه الإمام في تأليف مسنده فمن المرجح أنه بدأ بتأليفه (سنة ٢٣٥هـ) وعمره آنذاك تسع وعشرون عامًا؛ لأن مسلمًا في هذه السنة كان قد هيأ نفسه وثقفها بهذه الصناعة ثقافة كاملة وأصبح جديرًا للقيام بهذا العمل[٢٤].

ويقول الإمام مسلم عن منهجه: «ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا - يعني في كتابه - إنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه».

كما أثر عنه قوله: «إنما أخرجت هذا الكتاب

(١٨) تاريخ التراث العربي ١: ٣٦٩. وذكره بروكلمان أيضا ٣: ١٨٥.

(١٩) تاريخ التراث العربي: ١: ٦٣٩ ولم يرد ذكره في كتاب بروكلمان. وفي بعض المصادر (طبقات التابعين).

(٢٠) الأهب: ج إهاب وهو الجلد. وفي تهذيب التهذيب: الانتفاع بجلود السباع.

(٢١) في المنتظم: (كتاب عمرو بن شعيب، يذكر من لم يحتج بحديثه وما أخطأ فيه). وفي الوافي: (كتاب عمرو بن شعيب).

(٢٢) مؤلفات الإمام نقلًا عن كتاب: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري من ص ٥٠- ص٥٤. محمود فاخوري ولمؤلفه جزيل الشكر.

(٢٣) محمد بن جعفر الكتاني: الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة ص ٩.

(٢٤) محمود فاخوري: الإمام مسلم بن الحجاج ص ٥٩-٦٢.

وقلت هو صحاح أو صحيح – ولم أقل إن ما لم أخرجه من الحديث في هذا الكتاب فهو ضعيف وإنما أخرجت هذا الحديث من الصحيح ليكون مجموعًا عندي وعند من يكتبه عني ولا يرتاب في صحته [٢٥]». قال عنه الإمام النووي: «وأصح مصنف في الحديث بل في العلم مطلقًا الصحيحان للإمامين القدوتين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري –رضي الله عنه – وأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري –رضي الله عنه – فلم يوجد لهما نظير في المؤلفات.

ويصفه نور الدين بن محمد عتر قائلًا:

وأهم كتبه وأعظمها نفعًا كتابه المعروف بـ (صحيح مسلم) واسمه الأصلي (المسند الصحيح)، كما ذكره بعض العلماء في فهرست مروياتهم [٢٦]، وكما يؤخذ من كلام مسلم نفسه أيضًا [٢٧]، وقد اقتفى أثر البخاري حيث اشترط فيه الصحة، فجاء كتابه تاليًا كتاب البخاري في الصحة على المعتقد المشهور.

ولكن أبا الحسين لم يتبع طريقة الإمام البخاري الفقيه، بل سلك طريقة الصناعة وفن الإسناد، فعني بالمتابعات والشواهد، وبين ما في الحديث من لفظة زائدة، أو اختلاف بين الثقات، أو علة، وجعل الأحاديث ثلاثة أقسام والرجال ثلاثة أصناف من حيث العدالة والضبط والإتقان، كما ذكر في مقدمته لصحيحه [٢٨] فصَدَّر أحاديث القسم الأول وهي في الدرجة الأولى من الصحة، ثم يتبعها بأحاديث القسم الثاني، ولم يلتفت إلى أحاديث من اتّهمَ بوضع الأخبار، ومن الغالب على حديثه المنكر والغلط.

وَبيَّنَ طريقته في تخريج أحاديث الطبقات أنه لا يكرر إلا لفائدة في السند أو المتن فقال [٢٩]: «فنقسمها –أي: الأحاديث– على ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس، على غير تكرار، إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد الحديث فيه زيادة معنى، أو إسناد يقع إلى جنب إسناد لعلة تكون هناك».

فهذه طريقته في كتابه، وقد عني كل العناية في إخراج كتابه حتى لم يدانيه كتاب، وقد شهد له الأئمة بذلك، وأثنوا على ما أودعه من الفوائد الحديثية العظيمة، ومن ذلك قول النووي [٣٠] في بيان صنيعه وفوائده والثناء عليه:

«كتابه الصحيح الذي لم يوجد في كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان، والاحتراز من التحويل في الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة، وتنبيه على ما في ألفاظ الرواة من اختلاف في متن أو إسناد، ولو في حرف، واعتنائه بالتنبيه على الروايات المصرحة بسماع المدلسين وغير ذلك مما هو معروف في كتابه، قال وعلى الجملة فلا نظير لكتابه في هذه الدقائق وصنعة الإسناد.. [٣١]».

---

(٢٥) النووي: شرح صحيح مسلم: جـ١ ص ٢٥–٢٦.

(٢٦) كالعلائي في (إثارة الفوائد المجموعة) ق ١٨ ولفظه (المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ) وأراد بقوله: نقل العدل عن العدل تفسير المسند بالمعنى العام الذي هو رواية الحديث بإسناده.

(٢٧) حيث قال: (صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاث مئة ألف حديث مسموعة) تاريخ بغداد.

(٢٨) جـ٢ – ص ٥.

(٢٩) المقدمة ص ٣.

(٣٠) تهذيب الأسماء واللغات جـ ٩ ص ٩٠.

(٣١) نور الدين عترا: الإمام الترمذي: الموازنة بين جامعه وبين الصحيحين ص ١٨–٣٩.